نقل العمل السياسي من الحركة الصهيونية العالمية الى اليشوف [المستوطنين اليهود] في البلد ، مما منحهم قدرة وحيوية لم يعرفوا مثلها خلال كل السنوات السابقة ، حدث بين الجماهير العربية في البلد تطور عكسي ، فانتقل مركز نشاطهم السياسي خلال سنوات الحرب الى هيئة سياسية موجودة خارج بلدهم [الجامعة العربية] » (ص ١١٨ — ١١٩) . ويضيف في مكان اخر (ص ١١٩٦) انه بينما كان « اليهود يحضرون المهاجرين غير الشرعيين،يهاجمون محطات الشرطة، يعتقلون ويحاكمون بجماهيرهم ، كان العرب يحافظون على هدوئهم » . وهو « الهدوء » الذي كان أحد أسباب النكبة التي حلت بهم سنة ١٩٤٨ .

أما بالنسبة للاحتياطات التي اتخذتها الهاغاناه في المجال العربي ، فيبدو ان المنظمة وقادتها تعلموا جيدا دروس الاخطاء التي ارتكبوها اثناء تعاملهم مع العرب في السابق ، خاصة خلال الاضطرابات ، وحصروا فشلهم في شقين : الاول عدم توفر المعلومات لديهم عما يجري بين العرب والثاني انعدام الخطط الواضحة للعمل بموجبها في حالة الضرورة . وقد نشطت الهاغاناه ، بشكل فعال ، للعمل على سد النقص في هذين المجالين . ففي حزيران ١٩٤٠ افتتحت دائرة عربية في مخابرات الهاغاناه (شاي) ، برئاسة عزرا دنين ، وكلفت بتأسيس ارشيف للمعلومات عن « التركيب [الاجتماعي ؟] للمدن والقرى العربية في البلد»، بالاضافة الى جمع المعلومات عن « مدى اشتراك كل منها في حوادث ١٩٣٦ — ١٩٣٩ » وكذلك باقامة « شبكة من المخبرين العرب» (ص ٢٤٤). غير انه بعد أن لوحظ أن عمل الدائرة لم يتقدم بما فيه الكفاية ، كلف يعقوب شمعوني ، احد المستشرقين اليهود البارزين وقتها (مؤلف كتاب « عرب فلسطين » ، تل ابيب ، عام عوفيد ، ١٩٤٧) بتولي رئاسة الدائرة « وبدأ التحسين في عملها » (ص ٢٤٧) . فاستمر النشاط في جمع المواد « لملفات القرى » ، وبعد ذلك كلفت وحدات الاستطلاع التابعة للبلماح بالاهتمام بالنواحي الطوبوغرافية لتلك القرى (ص ٤٤٧) ، وبالاضافة الى ذلك « اقيم ارشيف عربي منظم مع بطاقات ، جمعت فيه التفاصيل الشخصية عن الزعماء العرب القطريين والمحليين ، قادة العصابات ، المحرضين وما شابه » . كذلك « فتحت ملفات مماثلة للمدن [العربية] في البلد » وتم القيام « باعمال استخبارات واسعة بشأن بعض الاشخاص ، الذين ظهر انهم سيكونوا بين زعماء المستقبل » (ص ٢٤٧) ، بما في ذلك جمع التفاصيل عن اماكن سكناهم ، تسليحهم ، تحركاتهم ، اماكن عملهم وطريقة الوصول الى اماكن نومهم . وفي مرحلة لاحقة ، طرأ « تغيير جذري على نشاط شاي عندما ادرجت القراءة الكاملة للصحافة العربية ، التي اصبحت مصدرا غير مخيب للامال لجمع المعلومات والتعرف على العرب في البلد » ، وكذلك « بذل جهد كبير للاتصال مع مخبرين عرب من بين اعلى المستويات الاجتماعية » (ص ٢٤٧ — ٢٤٨) . « ومع نهاية سنوات الحرب [العالمية] وصلت الدائرة العربية ، بصورة او بأخرى ، الى مستوى لاعم متطلبات منظمة الهاغاناه » (ص ٢٤٨) .

لم يكن العمل في مجال المخابرات بين العرب النشاط الوحيد الذي قامت به الهاغاناه خلال تلك الفترة ، اذ اضيف اليه ايضا — كما أشرنا — نشاط مكثف في وضع الخطط العديدة ، الهجومية والدفاعية،في ضوء الاوضاع السياسية والعسكرية التي سادت المنطقة وقتها . ويكشف الكتاب النقاب على ان الهاغاناه وضعت اول خطة عسكرية شاملة موضع التنفيذ في نيسان ١٩٤١ ، وهي الخطة التي اطلق عليها اسم « الخطة أ » ، ولخصها تقسيم قوات المنظمة الى قسمين ، يتوليان القيام بأعمال الدفاع الثابت والمتحرك عن المستوطنات والمستوطنين اليهود في حالة نشوب اضطرابات في البلد بين العرب واليهود (ص ٢٣٥ — ٢٣٧) . وفي ايار ١٩٤٢ ادخلت تعديلات طفيفة على تلك الخطة ، وتغير اسمها الى « الخطة أ/١ » وبقيت سارية المفعول حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ولكن في سنة ١٩٤٣ بدأ اعداد خطة ثانية ، « الخطة ب » ، تحت « تأثير النجاح الفائق لوحدات البلماح » (ص ٢٣٩) ولكن هذه الخطة لم تذهب بعيدا عن تلك التي سبقتها ، واكتفت بأن اضافت اليها مبدأ «الدفاع الهجومي»، اي « تدمير قوة العدو المسلحة قبل أن يصل الى اهدافه » (ص ٢٣٩) وأقرت خلال ايلول ١٩٤٥، ولكن انتهاء الحرب العالمية الثانية وتغيير الاوضاع السياسية عقب ذلك ، جعل الخطة غير ملائمة